

عادات الشعوب

كان وما زال من أقرب الهوايات وأحبها إلى نفسي أن ارصد وألاحظ عادات الشعوب . ومما ساعدنى على ذلك أمران : كثرة القراءة ، وتنوع الرحلات . وأستطيع أن أقول الآن إن معظم تلك العادات — رغم اختلاف الشعوب فى المكان والزمان — تكاد تتشابه ، بل وأحيانا تتطابق . وهو الأمر الذى يؤكد أن الإنسان يظل هو هو نفسه مع بعض الفروق البسيطة .

**

لكن يبقى أن كل شعب له خصوصيته ، الاجتماعية والثقافية ، وأحيانا ما توجد لديه بعض العادات الغريبة ، ومنها ما لا يتفق مع العقل والمنطق ، بل إن منها ما يتنافى مع أبسط مبادئ الإنسانية . ومن ذلك : صراع الثيران فى أسبانيا ، وصراع الديكة فى تايلاند . وكلاهما من أسوأ عادات الشعوب ، التى يقوم على استئثار متعة الجماهير من خلال مشاهدة أفعال العنف الدموية بين ثور وإنسان مسلح بسيف يغرسه فى أعلى ظهره ، أو بين ديكن يقتتلان بكل شراسة حتى يصرع أحدهما الآخر !

**

وأنا مع كل عقلاء العالم أتساءل : أي متعة يحصل عليها الإنسان من رؤية الدم المقاتى وهو يسيل ويتناثر من جسد الحيوان أو الطائر بهذه الطريقة الوحشية ؟! ومن المعروف أن كلا من الثور والديك ليس حيوانا عدوانيا ولما مؤذيا على الإطلاق ، بل إن الله تعالى خلقهما ليستفيد منهما الإنسان ، سواء فى العمل وجر الأثقال أو فى الطعام ، لكن ما حدث أن الإنسان جحد هذه النعمة وقابلها بأبشع الممارسات .

**

وليس فقط الأديان السماوية ، وحتى الوضعية ، هى التى تدين هذا العمل الوحشى وتجرمه ، بل إن المشاعر الإنسانية تأباه وتستنكره . وقد كنت أتمنى من منظمة دولية كالأمم المتحدة أن تدين مثل هذه العادات السيئة وتضع من المبادئ والقوانين ما يردع مرتكبيها . وحتى يتم ذلك فى يوم من الأيام ، أناشد وسائل الإعلام ومخرجى الأفلام السينمائية والتلفزيونية التوقف تماما عن الترويج لتلك العادات الممجوجة ، أو على الأقل أَدعُوهم إلى تشويه صورتها أمام الأجيال الناشئة ، حتى لا يتعلموا منها العنف ويتعودوا عليه .

**

لكن عادات الشعوب ليست كلها بهذا السوء ، فهناك فى المقابل عادات جميلة ووديدة وإنسانية . ومنها مثلا : ما تقوم به بعض العائلات فى أوقات العطلات ، حين يصطحبون أولادهم إلى المتنزهات ويجعلونهم يطعمون الحمام والعصافير ، وأهل الخير الذين ينشئون فى وسط الأحياء الفقيرة مطاعم بالمجان طوال العام وليس فقط فى شهر واحد من السنة ، أو الذين يقيمون المدارس والمستشفيات على نفقتهم الخاصة ، أو الذين يتبرعون بجهدهم ووقتهم للذهاب إلى كبار السن فى منازلهم ومساعدتهم على تسيير أمور حياتهم .. تلك فقط بعض الأمثلة . والله يهدى من يشاء .